الفلسفة ثانية باك

مفهوم العنف (المحور الثالث : العنف والمشروعية)

الأستاذ: حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية
II- الموقف الفلسفي 1 : ماكس فيبر
2-1/ النص الفلسفي
2-2/ الأسئلة
2-3/ التصور الفلسفي
III- الموقف الفلسفي 2 : جوليان فروند
3-1/ النص الفلسفي
3-2/ الأسئلة
3-3/ التصور الفلسفي
IV- الموقف الفلسفي 3 : رالف لنتون
4-1/ النص الفلسفي
4-2/ الأسئلة
4-3/ التصور الفلسفي
V- تركيب
VI- خلاصة تركيبية للمفهوم

I- الإشكالية

إن الحديث عن مشروعية العنف يثير مجموعة من التساؤلات الإشكالية المحيرة، من حيث إن العنف قد يرتبط أحيانا بممارسات الدولة، وأحيانا أخرى قد يكون ذا صلة بالتطلع نحو دولة الحق والقانون، خصوصا في اللحظة المعاصرة.

- فهل يمكن الحديث عن عنف مشروع وآخر غير مشروع ؟

- وإذا كان هناك عنف مشروع، فكيف يكون كذلك في مؤسسات تعمل على تحقيق المشروعية ؟
- ثم هل يمكن للخطاب الفلسفي أن يمجد العنف ويشرعنه بأي حال من الأحوال، حتى ولو في محاولة إحلال اللاعنف وتحقيق الأمن والسلام داخل المجتمع ؟

II- الموقف الفلسفي 1 : ماكس فيبر

2-1/ النص الفلسفي

إن الدولة، مثل كل التجمعات السياسية التي سبقتها تاريخيا، تكمن في علاقة سيادة الإنسان على الإنسان المبنية على العنف المشروع (أي على العنف المعتبر شرعيا). إذن لا يمكن «للدولة» أن توجد إلا بشرط خضوع الناس المسودين للسلطة التي يطالب بها الأسياد، وعندها تطرح الأسئلة التالية نفسها على بساط البحث: لأي شروط يخضعون ولماذا ؟ وعلى أي تبريرات داخلية، أو وسائل خارجية، تستند هذه السيطرة؟

مبدئيا.. هناك ثلاثة أسباب داخلية تبرر السيطرة، ومن ثم هناك ثلاثة أسس للشرعية. أولا نفوذ «الأمس الأزلي»، أي نفوذ التقاليد المقدسة بصلاحيتها العريقة وبعادة احترامها المتجذرة في الإنسان. هذه هي السلطة التقليدية التي كان البطريرك « الشيخ » أو السيد الإقطاعي يمارسانها فيما مضى. وبالدرجة الثانية النفوذ المبني على السحر الشخصي والفائق لفرد ما، نفوذ يحضى بثقتهم بشخصه نظرا لما يتفرد به من صفات خارقة كالبطولة، أو بميزات أخرى تجعله زعيما. هذه هي السلطة الكارزمية التي كان النبي يمارسها، أو يمارسها في المجال السياسي الزعيم الحزبي المنتخب أو الحاكم المستفتى أو الديماغوجي الكبير أو زعيم حزب سياسي. هناك أخيرا السلطة التي تفرض نفسها بفضل الشرعية ، بفضل الإيمان بصلاحية وضع شرعي و كفاءة إيجابية مبنية على قواعد عقلانية قائمة. وبتعابير أخرى: السلطة المبنية على الطاعة التي تؤدي الواجبات المطابقة للوضع القائم.

هذه هي السلطة كما يمارسها «خادم الدولة» الحديثة، وكذلك كل الذين يمسكون بزمام السلطة إلى جانبه.

فيبر، رجل العلم ورجل السياسة، ترجمة نادر ذكرى، عن الفلسفة الحديثة، لعبدالسلام بنعبدالعالي ومحمد سبيلا، دار الأمان الرباط، ط1، 1991، ص:273.

2-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه ماكس فيبر.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن ماكس فيبر يجيب عنه.

2- أبني أطروحة النص من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد..).
- استخلاص جواب ماكس فيبر عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أحكم على أطروحة ماكس فيبر وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهنيته أم أصبح متجاوزا.

- بيان طبيعة الحجاج الذي تقوم عليه الأطروحة : هل هو مقنع من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم ؟

3-2/ التصور الفلسفي

يطرح فيبر إشكالية مشروعية العنف في سياق حديثه عن مسألة المشروعية في الدولة؛ فالدولة لا تتحدد إلا من خلال احتكارها للعنف الجسدي المادي" إنها تجمع سياسي انبثق عن تعاقد تنازل فيه الأفراد وبشكل طوعي وإرادي عن جزء من حرياتهم المطلقة؛ كما تنازلوا للدولة عن حق استعمال العنف في إطار مؤسسات تتقاسم السلط وتعمل على مراقبة بعضها. « فالدولة لا يمكن أن توجد إلا بشرط أن يخضع الناس المهيمن عليهم للسلطة التي ينادي بها المسيطرون »، ولعل ذلك ما يميز الدولة الحديثة، ولعل ذلك ما يؤكده فيبر بقوله : « الدولة هي المصدر الوحيد للحق في العنف ».

III- الموقف الفلسفي 2 : جوليان فروند

3-1/ النص الفلسفي

يعـــرف فيبر الدولة بأنها البنية أو التجمع السياســـي الذي يدعي بنجاح احتكار الإكراه المادي المشروع. تلك هي ميزتها النوعية التي تضاف إليها سمات أخرى : فمن جهة ، تنطوي على عقلنة للقانون والنتائج التي تستتبع ذلك مثل تخصص السلطتين التشريعية والقضائية، وإنشاء شرطة مكلفة بحمايـــة أمن الأفراد وتأمين النظام العـــام . ومن جهة أخرى، تعتمد على إدارة عقلانية، مبنية على أنظمة واضحة تســـمح لها بالتدخل في شتى الميادين ، بدءا بالتربية وصولا إلى الصحة والاقتصاد وحتى الثقافة . أخيرا ، تملك الدولة قوة عسكرية دائمة تقريبا.. إن الاستخدام المشروع للعنف كان من حق تجمعات أخرى غير الوحدة السياســـية، من حق الأسرة، والهيئات الحرفية، أو الإقطاعيين أيضا. وعليه، لم تكن للتنظيم السياسي في كل العصور الدقة المؤسسية للدولة الحديثة..

أولا يعرف النشـــاط السياســـي بكونه يجري داخل أرض محددة.. لأنه لا يمكن الحديث عن نشاط سياسي بدون وجود أرض تميز التجمع..

ثانيـــا يعتمد الذين يقطنـــون داخل حدود التجمع ســـلوكا متوجها بصورة معبـــرة وفقا لهذه الأرض وللمجتمـــع المرتبط بها، بمعنى أن نشـــاطهم يصبح خاضعا للســـلطة المكلفة بالنظام..

ثالثا تشكل القوة والعنف وســـيلة السياسة عند الاقتضاء.كما أنها تستخدم أيضا جميع الوسائل الأخرى لإتمام مشاريعها ، وفي في حالة فشل الإجراءات الأخرى تكون القوة وسيلتها الأخيرة .. لذلك يمكننا أن نحدد السياســـة بأنها النشاط الذي يدعي حق الهيمنة بشأن السلطة القائمة فوق أرض معينة، مع إمكانية اســـتعماله القوة أو العنف عند الحاجة: إما للحفاظ على النظام الداخلي والفرص التي تنجم عنه، وإما للدفاع عن المجتمع ضد أخطار خارجية.

جوليان فروند، سوسيولوجيا ماكس فيبر، ترجمة جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، لبنان، ط1، بدون تاريخ، ص:106-107-108.

3-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه فروند.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن فروند يجيب عنه.

2- أبني أطروحة النص من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.

- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد..).
- استخلاص جواب فروند عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال:

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3-3/ التصور الفلسفي

يحاول هذا المتخصص البارز في سوسيولوجيا (ماكس فيبر)، أن يعرض لأفكاره في السوسيولوجيا السياسية، والتي على رأسها أنه يحدد السياسة في أنها ذلك النشاط الذي يدعي حق الهيمنة والاحتكار بشأن السلطة فوق أرض معينة، مع إمكانية استعمال القوة أو العنف عند الحاجة: إما للحفاظ على النظام الداخلي والغرض الذي نجم عنه، وإما للدفاع عن المجتمع ضد أخطار خارجية.

(تشكل القوة والعنف وسيلة السياسة عند الاقتضاء).

IV- الموقف الفلسفي 3 : رالف لنتون

4-1/ النص الفلسفي

إن المنازعـــات قد تؤدي لأعمال عنف معروفة لـــدى الجميع، ولذا تتخذ الجماعة عادة إجراءات لتسويتها قبل أن يستفحل أمرها.. وهذه الإجراءات، وليس توقع العقاب المؤكد، هي التي يعود إليها الفضل في جعل الإســـاءات العلنية داخل الجماعة قليلة جدا. وبطبيعة الحال تعتمد شدة الإجراءات الوقائيـــة المطبقة اعتمادا كبيـــرا على موقف المجتمع تجاه الإســـاءة المرتكبة، فبعض المجتمعات تنظـــر إلى أعمال العنف بين الأفراد دون أن تثور ثائرة الناس أو يســـعون إلى محاولة منع العراك ما دام لا يؤدي إلى أذى بالغ. والواقع أنهم قد يشـــجعونه كوســـيلة لحســـم الخلافات وتسويتها، ولا يعنيهـــم من الأمر إلا أن يضمنوا النزاهة في العراك، وحصر أعمال العنف في أولئك الذين يتعلق بهم الأمر مباشـــرة. في حين توجد مجتمعات أخرى تستنكر بشدة جميع حالات اللجوء إلى العنف.. وهناك بعض الأفراد ممن لا يمثلون المجتمع العادي قد يتباهون بأعمالهم الشـــريرة إذا تسببت هذه الأعمال في جلب انتباه جدّي إليهم، غير أن الشائع هو أنه ما من شخص يرغب في أن يعده من حوله غبيّا.. فعضو الجماعة لا يستطيع أن يتهرب من ضغط الرأي العام الذي يعيده في الغالب إلى صوابه، وإذا عجز الرأي العام عن ذلك فإن الجماعة تلجأ إلى أسلحة أشد رهبة من الأسلحة السابقة وهي النبذ والنفي و الطرد. إن الطرد، مثلا، يعني بالنســـبة للفرد خسارة مصادر رزقه وجميع أصدقائه ومكانته بوصفه عضوا فـــي المجتمع. وحتى إذا التجأ إلى جماعات أخـــرى لا تناصبه العداء بصورة فعّالة، فإنها بالتأكيد ستنظر إليه نظرة ريب وجفاء، إذ من المسلمات التي ستفترضها مسبقا أنه ما من رجل يتـــرك جماعته نهائيا إلا إذا أرغم على ذلك، ولذا نجدها تتردد في قبوله عضوا جديدا في جماعتها.

رالف لنتون، دراسة الإنسان، ترجمة عبد المالك الناشف، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر بيروت، 1964، ص:298-299.

4-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه لنتون.

- صياغة السؤال الذي يفترض أن لنتون يجيب عنه.

2- أبني أطروحة النص من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد..).
- استخلاص جواب لنتون عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال:

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

4- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- المقارنة مع أطروحة ماكس فيبر وجوليان فروند.
- طبيعة الحجج المعتمدة في النصوص الثلاثة مع بان نقط التشابه والاختلاف.

4-3/ التصور الفلسفي

يقدم لنتون منظورا أنتروبولوجيا لأشكال العنف الممارس في بعض المجتمعات، فقد يكون مع بعضها عنفا مشروعا لا يستدعي أي تدخل لمنعه مادام لا يؤدي إلى أذى بالغ، أو إذا كان مسألة حاسمة للخلافات. في حين توجد مجتمعات أخرى تستنكر بشدة جميع حالات اللجوء إلى العنف، وهناك من الأفراد من يلجأ إلى الأعمال الشريرة بداعي التباهي ولفت الانتباه بدون وعي بما قد يجنيه ذلك عليه من طرد أو إقصاء اجتماعي داخل جماعته.

(إن المنازعات قد تؤدي لأعمال عنف معروفة لدى الجميع، ولذا تتخذ الجماعة إجراأت لتسويتها قبل أن يستفحل أمرها).

V- تركيب

إن ما يمكن التوصل إليه انطلاقا من هذه الرؤى الفلسفية هو أن العنف يبقى مسألة أخلاقية وغير قانونية، ولا يمكن أن تحظى بأية مشروعية مهما كانت الأسباب والأحوال، أو على أقل تقدير دولة الحق والقانون هي وحدها التي تملك الحق والمشروعية في اللجوء إلى العنف كحل أخير حينما تستعصي الحلول السلمية.

VI- خلاصة تركيبية للمفهوم

إن ظاهرة العنف تعتبر ظاهرة ملازمة للإنسان ومحايثة لوجوده، ترافقه في كل زمان ومكان، وأينما حل وارتحل، بحكم نزعته العدوانية الحيوانية، التي نراها حاضرة عبر كل لحظات التاريخ التي مر منها، والتي عرفت أشكالا متعددة وممارسات متنوعة للعنف؛ بدأ من العنف المادي وانتقالا إلى العنف الرمزي، ومن العنف الفردي إلى العنف الجماعي، ثم من العنف السياسي إلى العنف الاقتصادي... ولكن رافق هذه التطورات مجهودات ونزعات إنسانية وأخلاقية ترفض العنف، وتدعو إلى تأطيره سياسيا، مما فتح المجال للحديث عن عنف مشروع وآخر غير مشروع. فكان الحل الوحيد هو عدم شرعنة العنف مهما كان الثمن، إلا إذا كان مشروعا داخل دولة الحق والقانون ويؤسس لحالة من اللاعنف.